من تجوّلات الحجّاج في الليل

لما صاحت في الليل الابواب.
من تحت مخالب دامية ، وسباب
من تحت حذاء مشقوق ، ومؤخرة لسلاح لامع
أصفت احجار البيت
حتى « رأس الشارع »
حتى قمر قد كان يطل ليملأ ليل الشاعر
ويناغمه لكن في هذي الليله
لم يلمح خوفا من أن يسجن بين سحاب
عاما ، او بضعة أعوام .. من غير استجواب !

***

في هذي الليلـه
قد كانت سبعة أعوام في طفل أخضر.
تمشي فرحا . تتبختر
وتغني ما حفظته الاطفال السعداء
في صوت ريان بالضوء ، وبالماء
« يا عا سكاري يا بو بونديقيه »
.. لحظات ثم تدق عصا الحجاج على تلك الاغنيه
بحثا عن رأس أينع في تلك الامسيه
فيجف الطفل ، ويستخذي من خلف الاهداب.
وتموت عصافير ! ويضيع كتاب
ويغطي وجه العصر عذاب .. أي عذاب. ؟
أما العامان بسوسنة في عمر الطفله
فلقد لعبا ، عبثا في رأس الارنب.
لمـا دار اللولب.
لكن لما ان دق المخلب بعد المخلب
وقفت اذنا الارنب
لـم يلعب.
فلقد كانت لعب أخرى تجري في البيت
تتواثب . تلهث . تحمل وجه الموت
في ليل ممطوط مثل السرداب
ليل كذاب !

***

لكن لما عدنا لهدوء قاتل
وتنفس نور في قلب المصباح الذاهل
والطفل تماسك في عينيه الضوء الاشهب.
والطفلة همّت في خوف ان تلعب
احسسنا ان العالم من خزف أجوف
وبأنا متنا في داخلنا
وحزمنا في رعب « حزم السلمه » (١)
.. وبأنا لا نلمس شيئا في هذا الليل
الا ويصير سراب !
.. وبأنا لا نخطو في هذا الليل.
الا ويصيح غراب !

١ ـ من كلمات الحجاج المشهورة .

القاهرة

عبده بدوي